هذا خلق اللّه
(٧)

سنريهم آياتنا في الآفاق

الدكتور
محمد عمر الحاجي

الطبعة الأولى
1425هـ - 2004 م

جميع الحقوق محفوظة

يمنع طبع أو إخراج هذا الكتاب أو أي جزء منه بأي شكل من أشكال الطباعة أو النسخ أو التصوير أو الترجمة أو التسجيل المرئي والمسموع أو الاختزان بالحاسبات الالكترونية وغيرها من الحقوق إلا بإذن مكتوب من دار المكتبي بدمشق .

دار المكتبي للطباعة والنشر والتوزيع
www.almaktabi.com

سورية - دمشق - حلبوني - جادة ابن سينا
ص.ب ٣١٤٢٦ - هاتف : ٢٢٤٨٤٣٣ - فاكس : ٢٢٤٨٤٣٢
e-mail: almaktabi@mail.sy

﴿لآيات لأولي الألباب﴾

سمعتْ (دلال) من القناةِ الفضائيةِ صوتَ المُقرىء وهو يقرأ في القرآنِ قولَ الله تعالى :

﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾

[آل عمران : ١٩٠-١٩١] .

فتساءلتْ : إلى أينَ يقودُ التفكّرُ.. والنظرُ.. والتأمّلُ ؟

ثم قالتْ في نفسِها : إن التفكّرَ يؤدي إلى أمورٍ

كثيرةٍ ، منها : التعرّفُ على إتقانِ الله ، في الكونِ ، والأنفسِ ، ونحو ذلك...

ثم تعجّبتْ من الذين ما زالوا يُصِرُّون على الإلحادِ... وعَدَمِ الاعترافِ بالإله!!

ألمْ ينظرْ أولئكم إلى ما في هذا الكونِ من إحْكامٍ وإتقانٍ و... ؟!

وهل من المعقول أنّ في الناس أناساً يعتقدون أنّ ذلك يتمّ بمَحْضِ المصادفة ولا علاقَةَ لله سبحانه في تلك المخلوقاتِ... و... و... .!!

... وأثناء ذلك دَخَلَ أخوها (خالد) إلى غرفتِها... فرآها شاردةَ الذّهنِ فسألها : عن سببِ هذا الشّرودِ كلِّه!

فقالت : إنني أتفكّرُ في كلِّ ما هو حولي ، فأرى أمراً عجباً!!

فأتساءلُ : كيف يَجْحَدُ بعضُ الناسِ خالِقَ الكونِ كلِّه ؟!

فردّدَ أخوها (خالد) قولَ الشاعر :

فـــواعجبـــاً كيـــف يُعصـــى الإلـــهُ

أم كيـــف يَجْحَـــدُه الجـــاحِـــدُ...

وفـــي كـــلِّ شـــيءٍ لـــه آيـــةٌ

تـــدلُّ علـــى أنـــه الـــواحِـــدُ...

ثم قال لها : استمعي إلى هذه الحكاية الرائعة ، والتي تحملُ في طيّاتِها العِبَرَ والعظاتِ :

(أبو حنيفة) الإمامُ ، الورعُ ، واحدٌ من كبارِ الفقهاء ، حدثتْ معه هذه الحكاية :

عَقَدَ شياطينُ الإنس ندوةً ، وتشاوروا حولَ مسألةِ خَلْقِ الله... أو الإيجاد بالمصادفة وما إلى هنالك...!!

ودارَ بين الفقيه أبي حنيفة.. وبين بعضِ الملاحِدَةِ اتفاقٌ حول إقامة حوار مفتوح يدور حولَ الشكِّ والإيمانِ والإلحادِ...

ووضعوا موعداً، وبالفعل أتى أولئكَ الناسُ حسبَ المَوْعِدِ ، لكنّ الإمامَ تَأخّرَ...

ولما هَمُّوا بالذهابِ ، قال بعضُهم لبعض : إن عَدَمَ مجيءِ الإمامِ يعني دَحْضَ حُجَجِهِ...!

وإذا بالإمامِ يَدخلُ ، فاحتجّوا على تأخُّرِه ، فقال أبو حنيفةَ لهم : لقد جئتُ على الوعدِ تماماً ، لكني أردتُ اجتيازَ نهرِ دجلةَ كي أَصِلَ إليكم.. ، إلا أنني لم أجدْ زورقاً يحملُني...

وما هي إلا لحظاتٌ ، حتى أتتْ خَشبةٌ يجرفُها النهرُ ، فوقفتْ في القُربِ مني ، ثم أتتْ أُخرى فوقفتْ جنبَها... ثم أتتْ بعضُ المَساميرِ... ،

وما هي إلا لحظاتٌ حتى كان هناك قاربٌ واسعٌ... ، فركبتُه وأتيتُ إليكم!!

... وارتفعتْ أصواتُ الملاحِدَةِ ، مستنكرينَ هذا الكلامَ ، ثم قالوا للإمامِ : هذا ما لا يصدِّقه عَقْلٌ أبداً .

فقال أبو حنيفة : إذا كان زورقٌ عن طريقِ مصادفةٍ لم تصدِّقوا بوجوده هكذا ، فكيف نُصدّق أن هذا الكون : بسمائه... ونجومِه... وأرضِه... وحيواناتِه... ونباتاتِه... أَوْجَدَ ذاتَه بذاتِه :

﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ﴾

[الأنبياء : ١٨] .

* * *

تساؤلات واستفسارات

وفتحَ (خالد) وأختُه (دلال) ملفَّ الاستفساراتِ والتساؤلاتِ ، وكان منها :

ـ كيف يسيرُ هذا الكونُ الفسيحُ ؟

ـ وما هي نقطةُ الصِّفرِ في بَدءِ الكون ؟

ـ وماذا عن نهايةِ الكونِ ؟

ـ ولماذا أقسمَ اللهُ تعالى بكثيرٍ من مخلوقاتِه : كالنجمِ ، والشمسِ ، والقمرِ ، ونحو ذلك ؟

ـ ومن أين تأتي الشمسُ بهذهِ الطاقةِ الكبيرةِ... ؟ وكيف لا تَنتهي حرارتُها ؟!

ـ وكيف يمتدُّ ظِلُّ الأشياءِ ؟

ـ وماذا عن نِعمةِ اختلافِ الليلِ والنهار ؟

ـ ثم ماذا عن المجرّات العملاقةِ ؟

ومن الذي أخضعَ النجومَ والشموسَ والأفلاكَ لقوانينَ ثابتةٍ ؟

ـ ومن الذي يمنع الكواكبَ التي تدورُ بشكلٍ دائمٍ أن تَصطدِمَ وتتلاشى ؟

... ثم ماذا يساوي الإنسانُ أمامَ ما في الكونِ من شُموسٍ ونجومٍ وأفلاك ؟!

* * *

﴿إنا كل شيءٍ خلقناه بقدر﴾

واتفقتْ (دلال) مع أخيها (خالد) على الذهابِ إلى المكتبةِ العامّةِ ، وذلك في صبيحةِ اليومِ القادمِ ، والهدفُ الأولُ والأخيرُ مُطالعةُ بعضِ الكتبِ والمَجلاتِ المُختصةِ بعلمِ الفلَكِ... ، عسى أن يَجِدا إجاباتٍ مختصرةً لكل ما يدورُ في أذهانِهما من تساؤلاتٍ واستفساراتٍ وإشكاليات!!

وهذا ما حَدَثَ فعلاً .

وفي إحدى الموسوعاتِ التي تتحدثُ عن عِلْمِ الفَلَكِ وجدا الكثيرَ مما يَبْغيان ، وفي أوائلِ الموسوعةِ كُتبتْ هذه الآية الكريمة :

﴿ تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ ٱلَّذِى

خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ﴿٢﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ۖ مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ ۖ فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ﴿٣﴾ ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ﴾ [الملك : ١-٤] .

* إن الفَلَكَ عالَمٌ واسعُ الأطرافِ ، شديدُ التعقيدِ ، فيه مجرّاتٌ كثيرةٌ ، منها المجرّة التي تحوي الكرةَ الأرضيةَ ، وهي تحتوي على (١٠٠٠٠٠) مليون نجم!! وبالتالي عندما تكون السماءُ صافيةً ، فإن الإنسانَ يستطيع أن يرى بالعين المجرّدة (خمسة آلاف) من النجوم!!

** من عجائب هذا الكون :

- درجةُ حرارةِ الشمسِ في مركزِها ، لا تقلّ عن (١٤) مليون درجةٍ مئويةٍ!!

- كوكبُ (المشتري) أكبرُ من الأرض بـ (١٣٠٠) مرة!!

ـ هناك مذنّبات.. تكونُ بمثابةِ ذيولٍ للنجومِ ، مثل مذنّبِ (هالي) الشهير... ، والعجيب في ذلك أن مدةَ دورتِه (٧٥) عاماً!! وقد يتجاوزُ طولُه مئات الملايين من الكيلومترات! وتتجاوز سرعته (٥٠٠) كم/ثا!!

.. فأين تذهب المذنّبات ؟ وكيف لا تصطدم بالكواكب والنجوم ؟ و...!!

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [الأنبياء : ٣٣] .

﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا ۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾

[فاطر : ٤١] .

* * *

سبحانَكَ يا ربّ

قالتْ (دلال) لأخيها (خالد) : خُذْ هذا الكتابَ ، واقرأْ هذه القصةَ التي تدلّ على البساطَةِ وعَدَمِ التعقيدِ...

فأخذَ الكتابَ وراحَ يقرأ منه ما يلي :

واحدٌ من الأعراب... نظرَ ذاتَ يومٍ في هذا الكون ، ثم أطلقَها بصوتٍ عالٍ : الأثرُ يدلّ على المَسيرِ ، والبَعْرَةُ تدلُّ على البعير ، سماءٌ ذاتُ أبراجٍ ، وأرضٌ ذاتُ فِجاجٍ ، وبحارٌ ذاتُ أمواجٍ ، ألا يدلُّ كل ذلك على العزيزِ القدير ؟!

وعلّق (خالد) على قولِ الأعرابي بقول الله تعالى :

﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴾

[فصّلت : ٥٢] .

* * *

لماذا... . ولماذا ؟!

وبعد بحثٍ طويلٍ بين الكتبِ والمُجَلداتِ... عاد (خالد) وأختُه (دلال) إلى البيتِ ، وفي الطريقِ قالت (دلال) : لقد تبيّنَ لي أنّ في القرآنِ تساؤلاتٍ كثيرةً حول النفْسِ... والأفْلاكِ... وذلك من باب تَحريكِ العقولِ لاستنباطِ الحقائقِ والمُعجزاتِ... ، من ذلك قولُه تعالى : ﴿ وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ فَأَىَّ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُنكِرُونَ﴾ [غافر : ٨١] .

ومنها قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ كِفَاتًا ﴿٢٥﴾ أَحْيَآءً وَأَمْوَٰتًا﴾ [المرسلات : ٢٥-٢٦] .

... . فتبسّم (خالد) ثم قال :

صحيحٌ أننا تعبنا ونحنُ نبحثُ في المكتبةِ عن

الأمورِ العلميةِ المهمّةِ فيما يختصُّ بعلم الفلك ، ولكنّ سعادتَنا بما توصَّلنا إليه أكبرُ من ذلك بكثيرٍ...

وصَدَقَ الرسولُ ﷺ عندما قال « تَفَكُّرُ ساعةٌ خَيرٌ من عبادةِ سنة » .

والحمد لله رب العالمين

* * *